

أضواء البيان

@ 52 ذكر جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار يحشرون على وجوههم إلى جهنم يوم
القيامة ، وأنهم شرّ مكانًا وأضلّ سبيلًا . وبيّن في مواضع أخر أنهم تكبّ وجوههم في
النار ويسحبون على وجوههم فيها ؛ كقوله تعالى : { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْيَةِ فَكُيِّبَتْ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ } ، وقوله تعالى : { يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي
النَّارِ } ، وقوله تعالى : { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } ، وبيّن جلّ - وعلا في سورة (بني إسرائيل) أنهم يحشرون على
وجوههم ، وزاد مع ذلك أنهم يحشرون عميًا وبكمًا وصمًا ، وذكر في سورة (طه) ، أن
الكافر يحشر أعمى ، قال في سورة (بني إسرائيل) : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
كُلَّ لَيْلَةٍ خَبِثَتْ زُرَادُهَا هُمْ سَعِيرُونَ } ، وقال في سورة (طه) : { وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا . .

وقد بيّنا وجه الجمع في آية (بني إسرائيل) ، وآية (طه) المذكورتين مع الآيات
الدالة على أن الكفار يوم القيامة يبصرون ويتكلمون ويسمعون ؛ كقوله تعالى : {
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوَنَّدًا } ، وقوله تعالى : { رَبِّ سَدِّدْ
أَبْصَارَنَا وَسَمْعَنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } ، وقوله
تعالى : { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْ زُجِّجُوا فِيهَا } ،
في سورة (طه) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى } ، وكذلك بيّنا أوجه الجمع بين الآيات المذكورة في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب
عن آيات الكتاب) ، في الكلام على آية (بني إسرائيل) المذكورة . .

وصيغة التفضيل في قوله : { أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا } ، قد
قدّمنا الكلام في مثلها في الكلام على قوله : { أَذَلِكَ خَيْرٌ * إِنْ جَنَسَتْ
الْخُلُودُ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ } ، والمكان محل الكينونة . والظاهر أنه يكون
حسيًا ، ومعنويًا . فالحسي ظاهر ، والمعنوي ؛ كقوله تعالى : { قَالَُوا إِنْ يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَّهَا يُوسُفُ فِي زَفْوَسِهِ وَلَمْ
يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ } ، والسبيل الطريق وتذكر وتؤنث كما تقدّم ،

ومن تذكير السبيل قوله تعالى : { وَإِنْ يَرَوْا ءَاثِمَ سَبِيلِ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا ءَاثِمَ سَبِيلِ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } ، ومن تأنيثها قوله
تعالى : { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ } .